

أين يا شعب قلبك الخافق الحساس؟

أين الطموح، والأحلام؟  
 أين، الخيال والألهام؟  
 أين الرسوم والأنغام؟  
 فأين المغامر، المقدام  
 الموت، والصمت، والأسى، والظلام  
 ودم، لا تشير الآلام  
 وتنمو من فوقها الأوهام  
 رب عيش أخف منه الحمام  
 فلم تبتهج، ولم تترنم  
 حتّ أوشكت أن تحطم  
 فلم تضطرب، ولم تتألم  
 أما تشتكي؟ أما تتكلم؟  
 وأنقاض عمرك المتهدم  
 فيمشي، بل كائن، ليس يفهم  
 جامد، لا يرى العوالم، مظلم  
 شقي؟ أو مارد، يتهم؟  
 فيلسوف، مُحطم في إهابه  
 وعزم الحياة في أعصابه  
 فمضى ينشد السلام..، بعيداً..

«في قبر أمسه» غير آبه...  
 فيه أيام عمره المتشابه  
 وما كان من قديم رغبه  
 فذنباً العجوز ذكري شبابه...  
 جميلاً، كالزهر غصناً صباها  
 فيحي قلب الجماد غناها  
 الورد، والعشب، مُنشدًا، تياها

أين يا شعب قلبك الخافق الحساس؟  
 أين يا شعب، رُوحك الشاعر الفنّان  
 أين يا شعب، فُتك السّاحر الخلاق؟  
 إنّ يم الحياة يدوي حوالبك  
 أين عزم الحياة؟ لا شيء إلا  
 عمر ميت، وقلب حواء  
 وحياة، تنام في ظلمة الوادي  
 أي عيش هذا، وأي حياة؟!  
 قد مشت حولك الفصول وغنتك  
 ودوت فوقك العواصف والأنواء  
 وأطافت بك الوحوش وناشتك  
 يا إلهي! أما تحس؟ أما تشدو؟  
 ملّ نهر الزمان أيامك الموتى  
 أنت لا ميت فيبلى، ولا حي  
 أبداً يرمق الفراغ بطرف  
 أي سحر دهاك! هل أنت مسحور  
 آه! بل أنت في الشعوب عجوز،  
 مات شوق الشباب في قلبه الداوي،

وهناك.. اصطفى البقاء مع الأموات،  
 وارتضى القبر مسكناً، تتلاشى  
 وتناسى الحياة، والزمن الداوي  
 واعبد «الأمس» وادكر صور الماضي  
 وإذا مرّت الحياة حوالبك  
 تتغنى الحياة بالشوق والعزم  
 والربيع الجميل يرقص فوق

ومشى الناس خلفها، يتملّون

جمال الوجود في مرآها

فاحذر السحر! أيها الناسك القديس

والربيع الفنّان شاعرها المفتون

يُغري مجبها وهوها

وتملّ الجمال في رمم الموتى!..

بعيداً عن سحرها وصداها

وتعزّل بسحر أيامك الأولى

وخلّ الحياة تخطو خطاها

وإذا هبت الطيور مع الفجر،

تُغني بين المروج الجميلة

وتُحيي الحياة، والعالم الحيّ،

بصوت الحبة المعسولة

والفراش الجميل رُفرف في الرّوض،

يناجي زهوره المطلولة

وأفاق الوجود للعمل المُجدي

وللسعي، والمعاني الجليلة

ومشى الناس في الشّعاب، وفي الغاب،

وفوق المسالك الجهولة

ينشدون الجمال، والثور، والأفراح

والجد، والحياة النبيلة

فاغضض الطرف في الظلام! وحاذر

فتنة الثور!.. فهي رؤيا مهولة...

وصباح الحياة لا يُوقظ الموتى

ولا يرحم الجفون الكليّة

كل شيء يعاطف العالم الحيّ،

ويذكي حياته، ويُفيده

والذي لا يجاوب الكون بالاحساس

عبء على الوجود، وُجوده

كل شيء يساير الزمن الماشي

بعزم، حتى التراب، ودوده

كل شيء - إلاك - حيّ، عطوف

يونس الكون شوقه، ونشيدُه

فلماذا تعيش في الكون يا صاح!

وما فيك من جنّي يستفيدُه

لست يا شيخ للحياة بأهل

أنت داء يُبيدها وتبيده

أنت قفر، جهنميّ لعين،

مُظلم، قاحل، مريع جموده

لا ترف الحياة فيه، فلا طير

يغني ولا سحاب يجوده

أنت يا كاهن الظلام ياة

تعبد الموت!.. أنت روح شقيّ

كافر بالحياة والثور.. لا يصغي

إلى الكون قلبه الحجريّ

أنت قلب، لا شوق فيه ولا عزم

وهذا داء الحياة الدويّ

أنت دنيا، يُطلها أفق الماضي

وليل الكآبة الأبدية

مات فيها الزمان، والكون إلاّ

أمسها الغابر، القديم، القصيّ

والشقيّ الشقيّ في الأرض قلب

يؤمّه ميّت، وما ضيه حيّ

أنت لا شيء في الوجود، فغادره

إلى الموت فهو عنك غنيّ